برلنتي عبد الحميد والزواج من المشير

(وبعد ساعة دق جرس البـاب ودخـل رجـلان، ودارا في أنحاء الشقة يتفحصانها، يدرسان: مداخلها ومخارجهـا، بينما جلست هي و[الكاتبة] في انتظار الشخـصية المجهولـة المثيرة، والسيدة برلنتـي فاتهـا أن تـصف شـعورها في هـذه اللحظات....)

ولدت بحي باب الشعرية المزدحم في بيت كان يعيش فيه الأب والأم إلى جوار الجد، إلى أن انتقلت الأسرة – وهي في الرابعة من عمرها – إلى حي شعبي آخر لا يقل ازدحامًا هو حي السيدة زينب – ﷺ – وبعيدًا عن منزل الجد الذي كان والدها ابنه الوحيد.

ووسط الأماكن المزدحمة كثيرًا ما يبحث أصحاب الطموح عن التميز وإثبات الذات.

كان جدها أحد كبار المتصوفة واسمه الشيخ محمد حسن علي حواس، وكان من مشايخ الطرق الخليلية، وحسب ما تذْكر السيدة "نفيسة" التي اشتهرت في الفن والمجتمع باسم "برلنتي" فإن جدها له مقام في جامع سيدي "الطشطوشي" في حي باب الشعرية.

والطريف أنها تقول إنها فهمت من جدها "أن الرجل المسلم هو "الجنتلمان" الحقيقي بالمعنى السائد في هذا العصر، والطريف هنا هو لفظ "الجنتلمان"، وهو لفظ شديد الحداثة و"الفرنجة" إن صح التعبير!

وفي حي السيدة عرفتْ "عقولاً شامخة، وأناسًا ذوي عقول منحطّة، وعرفتْ الجوع والشبع، والفقر والغنى، وعرفت التحدي والتسليم"..

والحقيقة أن تعبيرات السيدة برلنتي تنمّ عن أحاسيس وتجارب اختارت لها الألفاظ الدقيقة والصريحة، التي تعبر عن حالة الزحام التي تكون عليها الأحياء الشعبية، فالاختلاط هو السمة الواضحة في هذه المجتمعات.. اختلاط القيم الأصيلة التي تمثل وضوح المنازل من الأعماق أمام المارة في شمس النهار، ببعض الفساد الذي تشهده الحارة في ظلمات الأزِقّة والطرقات.

في هذا الحي تعرفت السيدة برلنتي على طبيب شاب كان يسكن في البيت المقابل لمسكن أسرتها، كان فتيًّا وسيمًا، رأته ذات يوم محمولاً على الأعناق بسبب إدمانه المفاجئ للخمور! وكان هذا سببًا كافيًا – فيما تذكر – لابتعادها عن الخمر طوال حياتها.

وفي أول كشف من جانبها عن تطلعاتها المشروعة، كان في إطار بحثها عن مدرس يساعدها في فهم الدروس المدرسية، وتطوع ابن خالتها فرشح لها موظفًا في مصلحة البريد حاصل على ماجستير في العلوم السياسية والمالية، وقال لها: إن عمه هو "محمد حسين هيكل باشا"، ورغم ما سبق وأعلنته من كرهها للخمر فإنها علّقت على ذلك الترشيح قائلة: "أسكرتني هذه الصفة فيه.."، وتضيف بعد ذلك قائلة:

"كان عالم الباشوات بالنسبة لي عالمًا أسطوريًّا، وأن يدخل رجل من هذا العالم إلى بيتنا أمر يهز الوجدان".

وربما تكون لهذه العبارة دلالتها في فهم ميل السيدة برلنتي المبكر إلى عالم السلطة والنفوذ بما تمثله "الباشوية" المسكرة إلى هذا الحد.

ثم تحكي بعد ذلك عن مدى اهتمامها بهندامها، وزينتها، وبنظافة حجرة الجلوس ومدخل الشقة انتظارًا للمدرس قريب الباشا!

ولكن الغريب – رغم كل هذا الاستعداد السابق – تقول: إنها استقبلته بثياب ممزقة بالية، وأنها صافحته وهي في حالة يرثى لها، وأنها تقدمت وهي حافية القدمين، مبللة الوجه بالعرق (تمامًا كما يحدث في بعض الأفلام العربية، ولكنها لم تجده كما تخيلته فارع الطول، بالغ الأناقة والوسامة، بل كان رجلاً في ثياب عادية، قصير القامة، ضامر الجسم.. كان هذا الشاب "مصطفى هيكل"، كما اكتشفت بعد ذلك أنه واسع الاطلاع، عظيم الثقافة، باختصار حرك هذا الشاب عقلها وقلبها، وبدأت ترِد على ذهنها أسئلة دينية فلسفية، جاء في مقدمتها سؤال "مَن هو الله" سبحانه وتعالى؟

وهو السؤال الذي لم تُلْقِه على مصطفى هيكل، بل انتهزت فرصة وجود جدها في زيارة لهم، ثم وهي تدعك قدميه نظير قرش لكل قدم، سألته، فقال لها بكل خشوع الحديث القدسي: "كنتُ كَنزًا مخفيًّا فأردتُ أن أعرَف فخَلقتُ الخَلقَ فيه فعرفوني".

واستمرت العلاقة بين السيدة برلنتي وبين مصطفى هيكل الذي بدأ يمدّها بالكتب لتقرأها ثم يتناقشان فيها في لقاءاتهما المتعددة في حديقة الأزبكية، ورغم أن المكان رومانسي إلا أن المقابلات كانت ثقافية.

وتذكر أنها قرأتْ بعض أعمال كارل ماركس (ومنها كتابه الشهير رأس المال) وأنجلز، وأكثر الكتب التي أثارت اهتمامها كتاب "الأم" لمكسيم جوركي.

والحقيقة أن السيدة برلنتي تقفز من هذه الذكرى إلى واقعة تذكرها في شجاعة نادرة، عندما سألها المشير عامر – بعد زواجهما فيما بعد – وهي تتحدث عن هذه الكتب متباهية بقراءتها:

- "هل قرأت القرآن؟".

- فتقول واصفة تَلقّيها للسؤال: ولا أدرى لماذا انتابني الخجل وأنا أردّ عليه بالنفي"، فألقى سؤالاً آخر: لعلك أيضًا لم تقرئى شيئًا عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)؟

فأجابت بما يفيد النفي.. وحاول مصطفى هيكل إشراكها في عملية توزيع المنشورات، إلا أن ارتباكها حال دون استمرارها في العمل السري، فأشار عليها بدخول المعهد العالي للفنون المسرحية قسم "نقد"، وهناك رآها المرحوم زكي طليمات الذي حوّل اتجاهها إلى قسم التمثيل، و(بالصدفة) غابت البطلة التي ستقوم بدور البطولة أمام عبد الغني قمر (الطالب وقتها) في امتحانات السنة النهائية، واختار زكي طليمات السيدة برلنتي لتقوم بالدور إنقاذًا للموقف، و(للصدفة) كان المشهد الأول في ديكور غرفة نوم وبملابس إغراء – إلى حد ما – فهاج الطلاب – الشباب – وعلت أصواتهم بالصفير، وشاعت بعض الفوضى، وأغلق الستار، ليهدد زكي طليمات (عميد المعهد وقتها) بإلغاء العرض إن عادوا إلى الصياح. وفتح الستار مرة أخرى بعد أن أصبحت أعصاب السيدة برلنتي "أهدأ" مما ساعدها على الاندماج – على حد تعبيرها.

وعن ذلك الموقف تقول في مذكراتها "وزاد من سروري أن الأستاذ زكي هنأني وامتدح تمثيلي، وأحسست بالزهو؛ فإنها أول مرة أحظى فيها بالتقدير الجماهيري، وهذه نشوة لا يعرفها سوى من ذاق حلاوتها..".

وبدأ نجمها في الصعود بسرعة الصاروخ، لدرجة أنها حصلت على بطولات سينمائية وهي لازالت طالبة بالمعهد. وبعد الشهرة أصبح لها أصدقاء متميزون من الصحفيين والمثقفين والكتّاب، فكانت تعقد لهم صالونًا أسبوعيًّا – كل خميس – في بيتها، وكان من بين المترددين على هذه الندوات: أحمد بهاء الدين، أنيس منصور، الصحفية الراحلة نجاح عمر، وزوجها الكاتب الصحفي محمود المراغي، الكاتب والفنان عدلي فهيم، الرسام حجازي والصحفية مهجة عثمان، وكثيرون ممن تفخر الحياة الثقافية بهم (ص26 من كتاب المشير وأنا).

واتسعت دائرة معارفها لتضم الأجانب من الفنانين والفنيين، وتلبية دعوات السفارات، إلى أن حدثت لها هذه الواقعة:

كانت مدعوة إلى حفل أقامه سفير الهند في منزله بالزمالك تكريمًا لقنصل أمريكا في القاهرة، ولضيق الوقت فقد ذهبت إلى الحفل بماكياج دورها في أحد الأفلام، وصادف ذلك ترحيبًا من الأجانب حتى إنهم هللوا لها:

"هالو.. برلنتي عبد النيل"!

وبينما الكل يتزاحم من حولها، إذا برجل يقترب منها هامسًا: أنا فلان الفلاني (مخابرات)!

ولأنها لم ترد لنفسها أن تكون في موضع شبهة من هذه الطريقة الهامسة، وخاصة أن بعض الأجانب الحاضرين يلمون باللغة العربية، فما كان منها إلا أن صاحت باللغة الإنجليزية: وما شأنى أنا بالمخابرات.. إنني فلانة ولا دخل لي بالسياسة"!

وانتهت الحفلة، وبعد عودتها إلى البيت مباشرة، تلقت مكالمة هاتفية من صوت رجل رقيق مهذب – على حد وصفها – يقول أنا "صلاح بدر مدير المخابرات الحربية، وطلب منها – بعد أن وصفها بالوطنية – أن تكتب "تقارير" عن أي شيء تسمعه أثناء وجودها مع رجال السلك الدبلوماسي.

إلا أنها رفضت، فاستأذنها في أن يعاود الاتصال بها مرة أخرى، فرحبت بذلك. وهنا تقرر السيدة برلنتي أنها كانت المرة الأولى التي تتعرف فيها على رجل مخابرات، وأنها اندهشت

لكون رجل المخابرات الذي تعرفت عليه في تلك الليلة "رجل رقيق خجول"، وكان الرجل هو (صلاح بدر) مدير المخابرات الحربية!

ولكن يبدو أن شخصية السيدة برلنتي عبد الحميد، التي أطلق عليها الأجانب لقب "برلنتي عبد النيل" – كما تقول – كانت شخصية رأت فيها المخابرات نموذجًا من طراز ممتاز للاستفادة من علاقاتها الواسعة لا سيما بالأجانب.

فها هي تتلقى عرضًا آخر بعد أيام من المكالمة السابقة، تطلب منها محدثتها التي تصفها "بالكاتبة الدينية المعروفة" أن تستقبل شخصًا يريد زيارتها.

- وعندما سألتها: ومن هو؟

- قالت إنه شخصية مهمة، أحد المسئولين، فما رأيك؟

- ولماذا يريد أن يزورني؟

- لا أعرف، هو بنفسه سوف يخبرك إذا وافقتِ على الزيارة.

- قلت في النهاية: "لا مانع، فليتفضل"، ثم عادت الكاتبة تسأل: هل لديكِ مانع أن آتي معه.

- أبدًا أهلاً وسهلاً (ص29 من المصدر نفسه).

وبعد ساعة دقّ جرس الباب، ودخل رجلان ودارا في أنحاء الشقة يتفحصانها، يدرسان مداخلها ومخارجها، بينما جلست هي و"الكاتبة" في انتظار الشخصية المجهولة المثيرة، والسيدة برلنتي فاتها أن تصف شعورها في هذه اللحظات.. هل هو الرعب، أم الانتظار والترقب، أم بعض الاستمتاع بهذا الجو المثير الذي يشبه المشاهد المتقنة في فيلم من أفلام الجاسوسية التي لم تكن قد عرفتها السينما المصرية هذا الوقت؟

ولم يمضِ وقت طويل حتى دق جرس الباب مرة أخرى، وظهر رجل ممتلئ قليلاً مبتسم الوجه، وبعد الترحيب به أعدّت له السيدة برلنتي الشاي بنفسها بعد انصراف الشغالة، وبدأ الرجل في الدخول إلى الموضوع مباشرة، ومن الأفضل أن نقرأه بنفس ألفاظ وعبارات السيدة برلنتي:

- نحن نعرف يا مدام برلنتي أنك نجمة محبوبة، وأن كثيرًا من الأجانب المهمين المقيمين في مصر يحبونك ويصادقونك، ويهمنا حقًّا أن تتعاوني معنا.

- سألته: ومين حضرتك..؟

- بدت الدهشة على وجهه، ثم تساءل بأدب: ألا تعرفين صلاح نصر؟

- لا.. لا أعرفه.. يعني بتشتغل إيه حضرتك؟

ضحك الرجل وهو يتفرس في وجهي غير مصدق ثم قال: صلاح نصر مدير المخابرات.

- ولكن مدير المخابرات اسمه صلاح بدر!!

- قال: صلاح بدر مدير المخابرات الحربية.. لكن أنا مدير المخابرات العامة ثم أوضح لها أن عمل المخابرات العامة ينحصر في نطاق الأجانب، ومكافحة شبكات الجاسوسية التي تستهدف الإضرار بمصلحة الوطن، ثم كرر طلب "صلاح بدر" نفسه وهو كتابة "تقارير" عن كل ما تسمعه أو تستشعره من الأجانب، وكيف يفكرون، ثم أضاف إن ذلك لن يستغرق منها أكثر من دقائق!

وألقى صلاح نصر بمهارة بأول إغراء أمامها، عندما دار نظره في أرجاء الشقة الصغيرة قائلاً: هذه الشقة صغيرة، ولا تناسبك.. سوف نعطيك شقة كبيرة، ونؤثثها لك بشكل فاخر!

وعندما أبدتْ رفضها، ألقى بالطعم الثاني:

- ستكونين في أمانٍ تحت رعايتنا، وإذا حدث وتهددك أي خطر فنحن سنقوم بحمايتك منه، فإنك لن تدركي إن كان هناك خطر أم لا.

وهذا هو ما تستطيع أن تقدمه السلطة، إنها تَعِد بالحماية، وحتى لو لم تَعِدْ بذلك فإن الذين يتطلعون إلى علاقات خاصة مع السلطة، يدركون أن ذلك بالنسبة لهم من أكبر المغريات، إنها "حصانة" من نوع خاص، تفوق تلك الحصانة الممنوحة لبعض أعضاء الهيئات البرلمانية والدبلوماسية، فهي حصانة مستترة إن صحّ التعبير، حصانة غير مرئية تتيح للمتمتع

بها نفوذًا يفوق قدراته، ويفوق وضعه ومكانته الطبيعية، وهذه – في رأينا – هي نقطة الضعف الأول التي ينفذ منها القائمون على (تجنيد) مثل هذه العناصر.

وتؤكد السيدة برلنتي عبد الحميد أنها رفضت العرض – من أساسه – بدعوى أنها تخدم وطنها عن طريق الفن، وأنها لا تعرف السياسة.

في حين قرر صلاح نصر أن المسألة ترجع إلى اختيارها، وأنه شرح المميزات وعليها هي أن تختار، ثم طلب السماح له بالاتصال بها من وقت لآخر حسبما روت هي.

ولكن، ما رأيكم أن نسمع الرواية بشكل آخر وبنهاية أخرى من المهندس حلمي السعيد الذي كان على رأس فريق التحقيق في القضية التي اشتهرت باسم "قضية انحراف جهاز المخابرات العامة"، الذي يؤكد في مذكراته أن السيدة "نون" وشهرتها الفنية "باء" وللقارئ الذكي وحده حق اكتشاف إذا كان هناك تشابه بين نون والسيدة برلنتي التي كانت على علاقة بأحد قيادات الجهاز، وكان لها أصدقاء أجانب، وأنها قد وقّعت إقرارًا عام 1960 لتكون مندوبة للمخابرات.. وأن جميع زملائها في الوسط الفني يعلمون علاقتها بالمخابرات وبقياداته.

والحقيقة أن المرء يتحير أي الروايات يصدق؛ فصحيح أن التاريخ لا يكتب مرة واحدة، ولا من خلال وجهة نظر واحدة، إلا أن هذا التضارب في الروايات يباعد بيننا وبين الحقيقة، ولو مؤقتًا!

هذا إذا كان هناك ربط بين السيدة نون والسيدة برلنتي(!)

الشق الثاني في حياة السيدة برلنتي بالسلطة هو علاقتها بالمشير الراحل عبد الحكيم عامر، الرجل الثاني بعد عبد الناصر في هذه الفترة، ورغم أن حلمي السعيد يشير إلى أن المخابرات العامة هي التي قدمتها إلى المشير (هو لم يذكره بالاسم) في عام 1962 في إحدى الفيلات الآمنة، في حجرة معتمة، ولما قامت هذه الشخصية (المشير) بإشعال سيجارة عرفته السيدة (نون) الشهيرة بـ(باء)، إلا أنها تذكر الواقعة بشكل مختلف، فقد سبق هذا اللقاء، لقاء آخر لمجموعة كانت وظيفتها تعريف "اللي فوق بمتاعب وأوجاع اللي تحت"! ولا ندري.. هل هذا هو دور "مخابراتي" مثلاً؟ ورغم ذلك فإن السيدة برلنتي تقول: إنها وافقت على

الذهاب لذلك الاجتماع الذي دعتها إليه صديقة صحفية تعمل في مجلة روز اليوسف وقتها، ولسبب أو لآخر اهتمت السيدة برلنتي بزينتها واختارت اللون الأبيض لملابسها، وحذاءً ذا كعب منخفض، وتسريحة شعر جعلتها تبدو كطالبة أنيقة ورشيقة!

وفي الاجتماع الذي تم في إحدى الفيللات في الهرم، التقت لأول مرة بالمشير عبد الحكيم عامر الذي رأس الاجتماع لمعرفة أحوال الرعية من خلال هذه المجموعة المنتقاة التي تجمع بين أبناء مهن ووظائف مختلفة.

وبعدها اتصل بها صلاح نصر مرة أخرى وذهب بها لمقابلة "شخصيات مهمة"، وعندما أصرّت على معرفة هذه الشخصية قبل ذهابها، أخبرها بأنه المشير عامر، بشرط أن تتظاهر أمامه بعدم معرفتها به، وهناك في المكان المظلم أخرجت هي سيجارة، وبعفوية أخرج المشير ولاعته فأشعلها لها، فقالت له: إنه يشبه المشير عامر، فضحك ولم ينكر.

وتحدثت بعد ذلك السيدة برلنتي عن (اختبارات) عديدة وقالت: إن (أجهزة الأمن) قامت بها تجاهها بمباركة المشير، وتمثلت هذه الاختبارات في عروض زواج وعروض تمثيل ومعاكسات بالذهب والمال، وفي النهاية قال لها المشير إنها نجحت في الامتحان وإنها الآن أصبحت (عروسته) بعدما تأكد من أنه سيضع رقبته ومعها أسرار الدولة مع امرأة لا تُشترى، بل إن صلاح نصر قال لها: إن المخابرات تعتبرك نظيفة، تليق بزوجة المشير (ص56). وتم الزواج، زواج الفن بالسلطة، الذي يبدو أنه لم يكن زواجًا ورديًّا بين (الفنانة) برلنتي والنائب الأول لرئيس الجمهورية وقائد جيشها؛ فقد كانت العيون متربصة، والمشير حريص – كل الحرص – على أن يكون أمر الزواج في أعماق بئر الأسرار.. أسرار الدولة، التي أصبحت الزوجة الجديدة شاهدة عيان على بعضها بحكم الوضع الجديد والمكان القريب.

لم تكن حياة وردية؛ لأنها كانت حياة شبه سرية إلا من بضعة أفراد شهدوا عليها وباركوها، ولكنهم اشتركوا جميعًا في دفن أسرارها.. إلى حين!

والغريب أن السيدة برلنتي تؤكد أن قمة السلطة وقتها – متمثلة في الزعيم جمال عبد الناصر – كانت على علم بعلاقة الزواج السري بينها وبين المشير، وأنه قد زارهما في بيتهما ببرج العرب (الإسكندرية)، وأنه لعب الورق مع المشير – في حضور ومشاركة أنور السادات

– وهي تجلس بالقرب من المشير، وهو ما يعني – إن صحّت الواقعة – مباركة عبد الناصر لهذه العلاقة.

وتداخلت دوائر السياسة والسلطة، ربما كان (الطموح) هو مركز إحدى هذه الدوائر، ولكن للأسف فإن النتيجة التي نراها من هذا التداخل، هي احتراق الفنان بفعل لهيب السياسة، فلا هو حقق طموحه في الشهرة والنجومية، ولا هو تخلص من السهام الصائبة التي تصوب إليه كلما دار حديث في الفن أو في السياسة!